

منهج الإسلام في مواجهة الآلام

(المنطلقات الشرعية للرعاية التلطيفية)

الإمام العلامة

الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين



الطبعة الأولى
1444هـ - 2023م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2022/12/6215)

ياسين، محمد معيم
منهج الإسلام في مواجهة الآلام / محمد نعيم ياسين. -
عمان: المؤلف، 2022.
(24) ص
ر.إ.: (2022 / 12 / 6215).

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبر
هذا المصنّف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978 - 9923 - 00 - 565 - 1

جميع الحقوق محفوظة: يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق
الطباعة والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع وغيرها
من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف.



هذا الكتاب .. يوزع مجاناً

صدقة جارية عن روح المؤلف

فضيلة الإمام الأستاذ الدكتور

محمد نعيم ياسين.. (رحمه الله)

نرجو تخصيصه في الدعاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا موضوع خطير جداً، وهو يشمل الناس جميعاً؛ وذلك أن أهم أسباب الآلام والمعاناة هو الظلم الذي يكاد يعمّ وجه الأرض في هذا الزمان: قتلٌ وتقطيع أوصال، وتيتيم أطفال، وأحكام بالإعدام، وإعدام بدون أحكام، وتعذيب في السجون. وأغلب ظني أن ما يتسبب به الظالمون من آلام الناس أضعاف أضعاف ما تسببه الأمراض، مع أن أكثرها أيضاً من ثمار الظلم؛ ولذلك فإن خير الطرق وأعظمها فاعلية في تخفيف الآلام هي كف أيدي الظالمين عن الخلق، وعلى رأسهم تلك الدول الكبرى التي تُشهرُ كلمة «لا» أمام كل خير، وتظلم الناس بأساليب وحشية جماعية، وتشجع الظالمين في الأرض، وتريد علواً وفساداً في الأرض؛ فأعظم التلطيف على المتألمين هو إغلاق أبواب الألم بإقصاء الظالمين عن التحكم في مخلوقات الله عز وجل.

معنى الرعاية التلطيفية :

الرعاية هي تعهد الشيء وحفظه. والتلطيفية وصف للرعاية يقتضي التخفيف من المعاناة والآلام بالرفق والرحمة والدقة المبنية على العلم والمنطلق الإسلامي في التلطيف العام لحياة البشر هو العلم بقدرات النفس البشريّة، والتعامل مع المرضى ومن في حكمهم على أساسها. وفي العقيدة الإسلاميّة أن الله تعالى هو العليم بتلك القدرات؛ لأنّه هو الذي خلقها.

أهم قدرات النفس:

من أهم قدرات النفس الوعي والإدراك والإحساس والإرادة والعلم والعقل (بصر النفس للحق)، والتعلم وتخزين المدركات، ومعالجتها، والتفكير ووضع الخطط، والإيعاز (عن طريق الدماغ) للقوى المتحركة في الإنسان، وهي الجوارح، بتنفيذها، ومراقبة التنفيذ؛ فالنفس في النظر الإسلامي قائد الإنسان لامتلاكها قدرات القيادة؛ ولذلك فإن تحقيق هدف معين في الإنسان، كالتلطيف على

المرضى والمتألمين يجب من أجل تحقيقه التعامل مع النفس الإنسانية بقدراتها.

برامج إسلامية:

وللإسلام برامج كثيرة لجعل الوضع الإنساني في أحسن حال؛ ومن ذلك وضع المرضى وأصحاب الآلام؛ لأن مصدر تلك البرامج هو الله الذي سمى نفسه (اللطيف)، ووصف نفسه بأنه لطيفٌ بعباده. فمناهجه وبرامج الحياة المنزلة من عنده سبحانه هي خير البرامج لرعاية الضعفاء من مرضى وغيرهم.

النتيجة المنطقية:

والنتيجة المنطقية لتلك المقدمات أن الرعاية التلطيفية الفعالة إنما تتحقق إذا زُرعت في النفس البرامج الأساسية الإسلامية المضادة لمسببات الآلام النفسية من الخوف والحزن واليأس والإحباط والهلع، وغيرها، والتي من شأنها زيادة في قوة المناعة النفسية المحققة للطمأنينة أو زيادتها والرضى والصبر على قدر الله عز وجل وتُنشط التفكير الإيجابي وتثبط التفكير السلبي.

والقاعدة الإسلامية أن المريض الذي اجتمع في نفسه قدرٌ كبير من قيم البرامج الربانية، وكان عنده القدرة على استحضارها عند هجوم الآلام عليه، يستطيع بما حصل له من المناعة النفسية التي تجعله في وضع النفس مطمئنة أن يُغيّر الإحساس السلبي الألمي إلى إحساس إيجابي إمتاعي. فإن لم يكن عنده قدرة الاستحضار من المخزون المناعي النفسي، كانت الرعاية التلطيفية باتخاذ الوسائل والأساليب والإجراءات التي تساعد على استحضار تلك القيم والمعاني.

تلك البرامج النفسية الإسلامية، وما يتفرع منها هي - في نظري- من الناحية العلمية أو العقلية خير ما يمكن اختزانه في النفس لمواجهة المصائب الإنسانية وآلامها. وهي في ذات الوقت خير البرامج للاستمتاع في هذه الدنيا وفي الآخرة. ولكن فاعليتها تتناسب طردياً مع قوة التسليم العقلي بها، بحيث لا يقل عن التصديق الجازم، وطردياً مع قوة الإدراك لها؛ بحيث تتمكن النفس من وضعها في منطقة الوعي الآني أو اللحظي عند ورود المدركات عليها من

داخلها أو من الخارج.

وذلك أن نتائج الموازنة التي تحصل عليها نفس المريض المتألم من تفاعل المدركات الألمية مع معطيات تلك البرامج في وحدة المعالجة النفسية المركزية، تُشير إلى تفوق المغانم الأخروية على المغارم الألمية؛ فإنَّ ألمًا زائلاً بشفاء أو بوفاة مؤقتة أقل بكثير مما تزرعه تلك البرامج الربانية في النفس من يقين بمتع كثيرة وكبيرة وخالدة وخالية من المنغصات.

وقد تثار شبهة على ما تقدّم؛ وهي أن الآلام من المشاعر، والبرامج أفكار، والمشاعر بطيئة في تفاعلها مع الوعي، والأفكار سريعة في مرورها عليه، وجواب هذه الشبهة أن النظم الإسلامية من عقائد وقيم وأخلاق وعبادات وأحكام تتضافر جميعها لتمكين النفس من إدراك تلك البرامج واستحضارها إلى الوعي اللحظي في أكبر عدد من المرات في اليوم الواحد مما يجعلها حاضرة في النفس في معظم أوقات الحياة العاقلة، وتواجه بمحتواها معظم آلام الحياة وكبدها.

وعلى سبيل المثال نذكر فيما يأتي بإيجاز شديد
بعض أهم البرامج الإسلامية النفسية المنشطة
لجهاز المناعة النفسي والمولدة للطمأنينة:

1- الإيمان بقدره الله المطلقة، وأنه لا يعجزه شيء،
وأن ما يعجز عنه الخلق ليس قرينة على استحالة حدوثه؛
فإن هذه العقيدة تطرد من نفس المريض اليأس، وهي
مصدر عظيم من مصادر الطمأنينة وقوة النفس. وهذا هو
معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَّا يَذَّكَّرِ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ فإن من آمن بالله يقيناً،
ويؤمن يقيناً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فقد
حصّل أقوى أسباب قوة النفس وتحصينها من الخوف
واليأس والإحباط والاضطراب والقلق والحزن، وما
يترتب على ذلك من الآلام النفسية والبدنية.

2- برنامج الإيمان بالقدر: وحقيقته أن ما قدّر الله

عز وجل واقع بالمرء لا محالة، وأن ما لم يقدره فهو غير واقع قطعاً، وأن الأمر له عز وجل من قبل ومن بعد. وأن ما عجز عنه الناس غير معجز لله تعالى؛ فإن هذا اليقين إذا رسخ واستقر في النفس واستحضره المريض الواعي لم يصبه خوف ولا فزع ولا حزن، وأعانه على الصبر وعدم اليأس، وحصل له الطمأنينة بما يختار له خالقه عز وجل كما قال رب العالمين تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ...؛ فالمؤمن بالله تعالى لا يحزن على ما فات؛ (فإن الحزن نموذج من نماذج العذاب الشديد).

وكذلك لا يفرح فرحاً شديداً (غير طبيعي) بمكاسب الدنيا؛ فإنها فانية؛ ولنعبر بخالد بن الوليد (أبو سليمان)

ﷺ عندما حضرته الوفاة؛ حيث ينصح من يأتي بعده من الخلق أن لا يخافوا من أسباب الموت؛ لأنك - أيها الإنسان- لن تموت إلا بالسبب المقدر لك، وإن تعرضت لألف سبب غيره، وينعي الجبناء الذين يفرون من قتال العدو خوفاً من الموت؛ فقد قال خالد كلمته الخالدة قبيل خروج روحه: (شهدتُ مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضعٌ إلا وفيه ضربة سيف أو رميةً بسهم، أو طعنةٌ برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير؛ فلا نامت أعين الجبناء)؛ فانظر كم من الآلام كان يحملها هذا الصحابي، وكيف كان إيمانه بالقدر. وقد قال ما قال في وطأة الآلام، وأثناء وعيه الكامل، وقدرته على النطق بكلام محشوٍّ بحكمة خالدة.

ولكن لماذا نقول: الإيمان بالقدر يخفف الآلام

على المؤمن؟

والجواب يمكن العثور عليه في البرنامج التالي:

3- برنامج الإيمان باليوم الآخر، يوم الحساب

والجزاء؛ هذا البرنامج يطمئن المرضى ومن في حكمهم من حملة الآلام؛ وأن ما يصيبهم من ألم أو معاناة في هذه الدنيا لا يذهب هدرًا، وإنما يُجزى حامله بما هو خير منه أضعافًا مضاعفة، إما في يوم الحساب أو في هذه الدنيا، وذلك إذا صبروا، ولم يظهروا ضجرًا من قضاء الله وقدره، ويرجون من الله عز وجل أجرًا عظيمًا. فيعرض الألم على هذا البرنامج، فيفيض على النفس قدرًا من السعادة تكون نتيجته طمأنينة وسكينة ورضى، تقترن بقدرة التحمل لا يُحصّلها أحدٌ إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا المعنى قوله تعالى ﴿إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ...﴾؛ فإن ألمًا بدون رجاء أشدُّ على النفس من ألمٍ تفاعل في برنامج النفس مع رجاء المغفرة والخلود في السعادة أو مع شفاء يبارك الله فيه. ومن السنة المشرفة ما

يشير إلى المعنى السابق مثل قول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: (عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، ليس ذلك لأحدٍ إلا المؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له) رواه مسلم.

وحاصل هذا البرنامج الذي تختزنه نفس المسلم أن السلم الذي وضعه الإسلام للقيم يقوم على أساس تقديم قيم الآخرة على قيم الدنيا التي تفني بالموت. وعلى هذا الأساس كانت الآخرة هي المستقر الذي يشغل بال المؤمن في جميع أحواله. وبالنسبة لأهل الآلام من المؤمنين الصادقين فإن انشغالهم بأمر الآخرة يزحزح عن وعيهم إحساسهم بالألم أو يخفف منه بحسب قدر اليقين عند صاحبه. ومن الأمثلة الواقعية على أثر هذا البرنامج في نفوس المؤمنين، والتي ذكر بعضها في القرآن العظيم سحرة فرعون بعد أن آمنوا بموسى عليه السلام لما رأوا الآيات والمعجزات التي معه، وقال لهم فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛

فانظر إلى هذه الآلام التي توعدهم فرعون بها، لكن نفوسهم التي دخلها الإيمان وعشقت رضوان الله عز وجل لم تتردد في دفع الثمن؛ فقالوا: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾؛ فانظر إلى ما فعل الإيمان بالله ورحمته وثوابه وقدرته في نفوس غزتها أشد الآلام، فهانت عليهم بما امتلأت من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر والثواب العظيم على صبرهم ورضا نفوسهم وفي القرآن أمثلة أخرى، وفي الحديث والسيرة أمثلة أكثر دللتها تبرير مرارة الآلام الدنيوية ببرد اليقين بعدالة الرب والخلود في السعادة.

4- برنامج ترسيخ خلق الصبر في النفس، والصبر

مهارة نفسية، تعتبر ثمرة للعقائد السابقة، وتناسب درجتها مع قدر اليقين بتلك العقائد. وحقيقة الصبر تعويد النفس على الرضى، والتخلي عن القبائح، وامتصاص ردود الأفعال السلبية من حزن وياس وخوف، وتحصينها من

الأمراض النفسية الناتجة عنها. وهو خلقٌ عظيمٌ الله من شأنه، ورفع أهله إلى أعلى المراتب، وهو أنواع كثيرة، منها الصبر على مصيبة المرض والامه. وقد يحسن في هذا المقام أن ننبه إلى أن كثير من أهل الثقافة الخلية عن الحقائق الإيمانية قد يصنفون الصبر في قائمة أنواع الكبت النفسي، وأنه قد يترتب عليه بعض الأمراض النفسية؛ وهي ثقافة فرويدية، جعل صاحبها علاجه بعد اكتشاف المكبوت بالتحليل النفسي هو التنفيس بفعل مضاد لذلك المكبوت في النفس. وهذا التوصيف الفرويدي فيه جزءٌ من الحقيقة، وهو أن الكبت إذا انفرد في النفس، ولم يجد له طريقاً للخروج منها أحدث مرضاً فيها، حتى إن القرآن جعل الكبت عقوبة للذين يحادون الله ورسوله، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. وفي آية أخرى قال عز من قائل، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾، وقد فسّر المفسرون الكبت الوارد في القرآن بقريب مما في علم النفس، وهو ارتداد

الألم والخيبة والغيظ إلى النفس وعدم نيل شيء يُفرحها أو يشفي غيظها (انظر تفسير ابن كثير ج2 ص 104 وتفسير ابن عطية ج3 ص 314). فالكبت هو احتباس الألم أو سببه في النفس دون خروجه.

ولكن الخلاف بين الإسلام وفرويد هو كيفية التنفيس ومخارج الألم المكبوت في النفس؛ ذلك أن الإسلام فتح للنفس مخارج كثيرة لما يهجم عليها من الآلام ومسبباتها، فتخلص من الكبت بالمعاني الإيمانية التي سبق ذكرها. فإذا وقعت مصيبة المرض على النفس المؤمنة صبرك على آلامها؛ حيث وجد هذا الزائر الثقيل ما يدفعه من النفس ويخرجه من تلك المخارج الإيمانية؛ فلا يترتب على ذلك خوف ولا حزن.

وأحسنُ الصبر وأعظمه فاعليةً في تخفيف الآلام وزيادة القدرة على تحملها ما كان عند اللحظة الأولى التي تقع فيها المصيبة؛ لأنه إذا تأخر الصبر عن ورود الآلام إلى النفس اختزنت في مخازنها الذكرى الألمية المجردة من أي معنى إمتاعٍ لصاحبها. وأما إذا وقع الصبر الشرعي عند

لحظة ورود الآلام إلى الوعي، وما اختزنت تلك الآلام في الذاكرة وقد وُسِّمَتْ بالقناعات الإيمانية وجزائها الممتعة، فتكون أخفَّ بكثير من الحالة الأولى (المجردة عن الصبر والرضى)، ولذلك قال الرسول ﷺ (إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

5- برنامج الترتيب الإسلامي للقيم الدنيوية

والأخروية؛ حيث يستقرّ في نفس المسلم أن قيم الدنيا لا تساوي شيئاً بالنسبة لقيم الدار الآخرة؛ حتى إن المؤمن بهذا الترتيب لا يأس على ما سيفوته، ويستشعر الرضى والسعادة إذا اتخذ الدنيا طريقاً إلى الآخرة؛ فهذا من أهم المولدات للطمأنينة في نفس المريض إذا كان ممن أنعم الله عليهم بالإيمان، وأصل ذلك كله قناعة تامّة في النفس بأن الباقي (وهو الخالد) فوق الفاني، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأن كل فانٍ لا يساوي أكثر من الصفر في ميزان القيم؛ ولذلك فإن من المستحسن في رعاية المرضى

تذكيرهم بحسناتهم، وأعمال الخير التي قاموا بها،
وصدقاتهم الجارية وعلمهم النافع الممتد على مدى
الزمان، وأولادهم الصالحين، بأساليب التذكير المختلفة.

6- برنامج الدعاء: الدعاء الصادق من الإنسان لله

تعالى والاستغاثة به من منابع الطمأنينة التي تقوي مناعة
النفس في مواجهة الآلام؛ لما فيه من إقرار بقدره الله عز
وجل المطلقة، ومنها قدرته سبحانه على شفاء المريض.
كما أن فيه إقراراً برحمة الله تعالى ويقيناً بالاستجابة
وتصديقاً بما أخبر عن نفسه به، وأمر رسول الله ﷺ بتبليغه
عنه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ
أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

7- حسن الظن بالله تعالى وستته بتغليب اليسر

على العسر، وأنه ما من عسرٍ يصيب المؤمن بالله تعالى الملتزم بطاعته إلا ويأتي بعده يسرٌ غامر يغطي على العسر ويردّ للنفس راحتها. ويدخل في هذا تصديق وعد الله بمغفرة الذنوب جميعاً إلا أن يُشرك به. ومع ذلك فإن للمريض أن يخرج من الشرك إلى التوحيد قبل مفارقة الحياة الدنيوية. وهذا يرجع إلى معنى الرجاء بالله تعالى والتوكل عليه، وانظر إلى المريض إذا جاءه طبيب حاذق كم يستبشر وتستريح نفسه، فماذا يكون حال المريض المؤمن إذا فوض أمره إلى الله تعالى وتوكل عليه؟

8- التوكل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه؛

ذلك أن عقيدة الإنسان بأن الخير كلّهُ هو في اختيار الله عز وجل للعبد، وإذا اتخذ المريض ربه وكيلاً وأخلص في ذلك قبلت نفسه ما يختار الله عز وجل بعد اتخاذ الأسباب

اللازمة، وهذا من أعظم المنابع النفسية للطمأنينة، وهي الهدف الأسمى لأيّة رعاية، وبخاصّة رعاية المرضى.

9- ومن المعاني التي يُفترض في المؤمنين أن

يخترنوها في نفوسهم المكانة الشريفة التي جعلها الله تعالى للمريض حتى اعتبر الشرع مَنْ يقدّم خيراً للمريض كأنه قدمه لله تعالى؛ يدلُّ عليه ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مَرِضْتُ فلم تَعُدْني. قال: يا رب كيف أعوذُك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعدّه؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده) (صحيح مسلم بشرح النووي ج6 ص 125).

إن هذه العقيدة لها أثر كبير في حث المؤمنين على رعاية المريض. والعيادة ليست مجرد زيارة، وإنما تقتضي تعهد المريض وتفقد أحواله وقضاء حاجاته، والتلطف به في الكلام والعمل، وللعيادة في كتب الفقهاء بحث خاص بها، هدفها بيان ما ذكرناه.

10- ومن البرامج الأساسية التي ينبغي تخزينها في

النفس الخشوع والإحسان ومؤدها التركيز في الخالق واستحضار صفاته وأسمائه وأفعاله وملكوته ومخلوقاته وقيوميته عليها في دقة التكوين والنظام والتكامل. والقصد استحضار هذه الأمور إلى الوعي الآني في أكثر الأوقات والنشغل بها عن غيرها. وضدها الغفلة التي ورد ذم أصحابها كثيراً في كتاب الله عز وجل. وهي مهارة تحتاج إلى تكرارٍ مستمر وطولٍ دربةٍ واتباع أنظمة مستمرة استمرار الحياة الواعية تجعل المؤمن في ذكر دائم لربه وأسمائه وصفاته. وهذا الخشوع أو الإحسان إنما شرعه الله عز وجل لمواجهة مشكلة تقع للعبد عند هجوم الآلام عليه؛ وهي أن الآلام نوعٌ من المشاعر، وكذلك البرامج والأنظمة المرتبة نوع من الأفكار، والمشاعر أيضاً من الأفكار عند مرورها بالوعي، فقوبلت بما يجعل النوايا والأفكار دائمةً أو شبه دائمة، وسريعة الاستحضار عند مواجهة الواردات من الآلام ونحوها. وكذلك المتع

الإيجابية والسلبية (الألم)، من حيث الجملة.
ومن جهة أخرى توازن التراتيب الشرعية بين قوة الإدراك، وقوة المشاعر ومنها الآلام؛ لأن وحدة الهدف والغاية واستحضارها إلى الوعي عند كل قرار تريد النفس اتخاذه يجعلها لا تقلُّ في قوة الإدراك عن قوة المشاعر، وتزيدُ عنها ما تحمله من المشاعر الموعودة من أصدق الصادقين سبحانه.

11- ومن البرامج التي أراد الله عز وجل من عباده أن يدخروها في مخازن نفوسهم أن المعيار في القرب من الله سبحانه وحبّه هو نفعُ الناس؛ فقد روي أن أحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله، وفي صحيح مسلم عن الرسول ﷺ قوله: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه بشيء فلينفعه). وهذا البرنامج - إذا استقر في نفوس المؤمنين دفعهم إلى مساعدة الضعفاء - ومنهم المرضى - وقضاء حوائجهم. ومن النفع الذي نُدب إليه المؤمن - الإنفاق على المرضى، وبخاصة في هذه الأيام التي صار العلاج فيها

مكلفاً جداً. ويمكن أن يكون ذلك عن طريق الوقف؛ بحيث يخصص ريعُ الوقف أو جزء منه لتحمل نفقات علاج المرضى. وقد ورد أن بعض المسلمين كان يجعل بعض أمواله وقفاً على ألبسة المرضى؛ بحيث يخصص لكل مريض لباس جديد عند دخوله إلى المستشفى، ولباسٌ مثله عند خروجه. وبعضهم جعل وقفه على أناس يوظفون في المستشفى للتنفيس عن المرضى بأساليب مختلفة، ومنها أن اثنين من أولئك الموظفين يخصص لهم مواقف لا يراها المريض ولا غيره، يتحدثون على مسمع منه بأن الطبيب أخبره أنه يتماثل إلى الشفاء ونحو ذلك. ويمكن أن يستفاد من الحديث الشريف أنه يجب على المجتمع أن يُشعر المريض أنه ما زال فعالاً ونافعاً، كلُّ بحسب حاله ومهنته.

12- ومن البرامج المؤثرة في النفس المؤمنة،

وحتى غير المؤمنة تربية الناس على رفض الظلم وكره الظالمين الذين يظلمون ويستبدون. ومثاله في الجملة

الدول المستكبرة التي تريد علوًّا في الأرض وفساداً، وأن تكون فوق غيرها وأرعى الأمم. وعلاقة ذلك بموضوع البحث أن الظالمين يسببون للناس من الآلام أكثر بكثير من الأمراض. بل إن كثيراً من الأمراض سببها هو الظالمون، فلو تناقص الظلم على وجه الأرض تناقصت آلام الناس. وهذه رعاية تلطيفية وقائية.

13- يتبين مما تقدم أن موضوع الرعاية التلطيفية

موضوع عام شامل خطير يشمل البشرية كلها. ويجب أن يسهم فيه جميع الأمم، بحيث تتغير لتصبح قادرة على منع الظلم، وليس على حماية الظالمين، كما هو حاصل، وأن يسهم فيه المجتمع برعاية المرضى والإنفاق عليهم وإشعارهم بالاهتمام بهم، وعلى ذوي المرضى ومن له علاقة بهم.

وتلك البرامج، وإن كانت نظرية في هذا الزمان، فإنه يمكن تفعيلها جزئياً على الأقل، والتلطف على المرضى.

والحمد لله رب العالمين